DOI: https://doi.org/10.54809/jkss.vi11.358

گۆڤاری كوردستانیی بۆ لێكۆڵینەوەی ستراتیجیی

Copyright © Open access article with CC BY-NC-ND 4.0

التحويل بالترتيب في القرآن الكريم
دراسة (التراكيب الدالة على الدعوة والداعية) أنموذجا

م. كامران عبدالله محمود

Kamaranabm@gmail.com

أ.د. طه صالح أمين آغا

taha.amen@univsul.edu.iq

قسم اللغة العربية ـ كلية اللغات ـ جامعة السليمانية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ما يُؤدّيه نمط من أنماط التحويل وهو التحويل بالترتيب من دور في بيان المعاني الكامنة المبتغاة للتراكيب حيث إنّ معرفة ما طرأ على تلك التراكيب من العمليات التحويلية إلى أن استوت في البنية السطحية تعيننا على معرفة المعاني الدقيقة والدلالات المقصودة من تلك التراكيب، كما نستطيع الوقوف على العلل والأسباب التي تقف وراء الحالات التي حصل فيها التحويل بالترتيب .

وقد اخترنا التراكيب التي جرى فيها التحويل بالترتيب في القرآن الكريم، إذ أنّ القرآن الكريم هو أرقى مستويات الأداء اللغوي الحيّ في اللغة العربية، وقد نشأ الدرس اللغوي العربي من أجل خدمته وصونه من الوقوع في اللحن في قراءته ، وقد وقع اختيارنا على التراكيب الدالّة على الدعوة والداعية في القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن هو رسالة الدعوة . وقد درس الباحث تلك التراكيب حسب المنهج التحويلي، لأنّ نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية نالت قسطاً وافراً من اهتمامات الباحثين على اختلاف مشاربهم ولغاتهم وكونها ملائمة وموائمة مع منهج علماء اللغة العربية القدامى إلى حدّ كبير، وهي من المناهج اللغوية الحديثة التي تيسّر الوصول إلى معرفة الأغراض والمعاني التي تؤدّيها التراكيب اللغوية، وذلك عن طريق معرفة الأصل التوليدي والبنية العميقة لتلك التراكيب، وبيان التحويلات التي طرأت عليها .

واقتضت طبيعة البحث تقسيمها على مقدّمة ومبحثين المبحث الأوّل في التحويل بالترتيب في مكوّنات التركيب الإسنادي، ذكرت فيه أولاً: التحويل برتبة المسند إليه، وثانياً: التحويل برتبة المسند . والمبحث الثاني في التحويل بالترتيب في مكملات التركيب الإسنادي، وذكرت فيه أولاً: التحويل بتقديم المفعول به، وثانياً: التحويل بتقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) . وخاتمة بينت فيه أهم النتائج التي توصلّ إليه البحث .

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، البنى التركيبية، التحويل بالترتيب

Recieved: 9/8/2024
Accepted: 18/8/2024

E-ISSN: 2790525-X
P-ISSN: 27905268

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب معجزة لنبيه وهاديا للبشرية إلى دينه المبين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمّد ﷺ الذي أرسله الله هادياً وداعيا ورحمة للعالمين ...

أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم كتاب مبارك أنزله الله لنتدبّر آياته، جعله معجزة خاتم أنبيائه ﷺ ورسالة دعوته، وقد جاء عربيّاً في مفرداته وتراكيبه وعباراته وأساليبه، فلم يخرج عن المعهود في لغة العرب، لكنّه أعجزهم بأسلوبه وأفحمهم بحجّته، وسحرهم ببيانه وبلاغته، وتحدّاهم أن يأتوا بمثله . فهو معجز بلغته ونظمه وبيانه، وقد تناوله العلماء منذ القدم بالدرس والتمحيص، فأعملوا عقولهم في تأسيس علومه، وإعداد أدوات البحث في إعجازه، ولانبالغ إذا قلنا: إنّ الدرس اللغوي نشأ خدمة لهذا الكتاب الجليل . وقد اعتمد المفسرون على دراسة الجوانب اللغوية في القرآن الكريم للوقوف على معانيه، فإنّ للقرآن الكريم معاني أوّلية وهي معاني كلماته وجمله، وهناك معانٍ أخرى دقيقة تُؤخذ من نظمه البديع، فتقديم كلمة في آية وتأخيرها في أخرى يُعطي معنى غير المعنى الأوّل.

وللوقوف على المعاني الدقيقة للآيات والتراكيب التي جرى فيها التحويل في ترتيب الألفاظ ارتأى الباحث دراسة نماذج من التراكيب الدالّة على الدعوة والداعية معتمداً على المنهج الوصفي، ومتبّعاً في تحليلها على المنهج التحويلي، إذ أنّ التحويل بالترتيب يُعدّ عنصراً مهمّاً من عناصر التحويل، بل هو أبرز العناصر في الجملة العربية والتي تُظهر جمالية التعبير اللغوي بالانزياح عن الأصل التوليدي التركيبي، ويقوم بتحويل الجمل من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وغالباً ما تحمل البنية السطحية معاني إضافية لم تكن البنية العميقة تحملها قبل التحويل. (الترك:٢٠٠٤: ١٠ -١١)

ويتمّ في التحويل بالترتيب إجراء تغيير يقع في ترتيب عناصر الجملة أو الوحدة الإسنادية، فيحصل «تغيير في النظام التركيبي للجملة ويترتّب عليه بالضرورة تغيير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر» (عبدالمطلب، ١٩٩٤: ٣٣١)، وهذا التغيير يكون بتقديم عنصر من عناصر التركيب على عناصره الأخرى، وليس ذلك في الرتب المحفوظة فهي لا تدخل ضمن دراستنا التطبيقية هذه، بل يكون التغيير في الرتبة غير المحفوظة، كتقديم المفعول به على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل، في الجملة الفعلية، وتقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية، وتقديم الفضلات على أحد ركني الجملة الأساسيين (المسند والمسند إليه) أو عليهما معاً بهدف إحداث تغيير في المعنى.(عمايرة، ١٩٨٤: ٩١)، (أبو معزة،أ، ٢٠٠٨ : ٧٣)

ويشير إلى ذلك د. خليل عمايرة بقوله: « لأنّ المتكلّم يعمد إلى مورفيم حقّه التأخير فيما جاء عن العرب فيُقدّمه، أو إلى ما حقّه التقديم فيُؤخّره طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس» (١٩٨٤: ٨٨)، وقد أدرك القدماء أنّ التقديم والتأخير يتعلقان بالمعنى في ذهن المتكلّم، « فالألفاظ تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس». (الجرجاني، ٢٠١٧، ٤٩)

والتقديم والتأخير مبحث من مباحث النحو وظاهرة أسلوبية وبلاغية من أساليب اللغة العربية ومظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وظاهرة أسلوبية من أساليب اللغة العربية التي تتجلّى فيها المواهب والقدرات الذاتية،وهو أيضا قانون من قوانين النظرية التوليدية التحويلية الحديثة .

و إنّ موضوع التقديم والتأخير « ليس موضوعاً هيّناً ولا سهلاً يسيراً، بل هو من الموضوعات الطويلة والصعبة التي تحتاج إلى فضل تأمّل، فهو يدخل في مجال واسع من فنون التصرّف في الكلام» (العامري، ١٩٩٦: ص٨)، فهو لا يرد في

اللغة اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، بل هو عمل مقصودٌ يقتضيه غرض بلاغي، ومرتبط بالمواقف وما يُراد منه .
وقد اعتنى نحاة العربية بهذه الظاهرة، واستعملوها في تعبيرهم عن ظاهرة معينة في التركيب اللغوي، وقد ورد تعريف كلّ من التقديم والتأخير في معاجم المصطلحات النحوية، فالتقديم في اصطلاح النحاة: « هو خلاف التأخير ، وهو أصل في بعض العوامل والمعمولات ويكون طارئاً في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه هو أصل الفعل مع الفاعل والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به وبقية الفضلات والمكملات»(اللبدي، د.ت: ١) وأمّا التأخير في الاستعمال النحوي « فهو حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل»(اللبدي، د.ت: ٩)

ويمكن القول إنّ إمام النحاة هو أوّل من بحث في أسلوب التقديم والتأخير ودواعيه، وقد علّل له في أكثر من موضع في الكتاب (سيبويه، ١٩٩٨م: ١٤/١-١٥، ٤١،٢١)، ودراسته قائمة عندهم على دراسة الرتبة في الجملة العربية، فإن أراد المتكلّم توكيد جزء من الجملة دون استخدام أدوات التوكيد عمد إلى تقديم الجزء، وفي هذا يقول سيبويه « وإنّما يُقدّمون الذي بيانهُ أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم» (٣٤١/١) والتقديم عنده إنّما يكون للعناية والاهتمام بالمقدّم فقط، ويُعزّز ذلك قول الجرجاني: « واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام» (الجرجاني، ٢٠١٧/ ١٠٧).

وقد نبّه الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى أهميّة التحويل بالترتيب (التقديم والتأخير) وبيّن فائدته العظيمة، ووصفه بقوله:» هو بابٌ كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطفُ لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدّم فيه شيءٌ، وحُوّل اللفظ عن مكان إلى مكان . (الجرجاني،٢٠١٧م: ١٠٦)

ونرى أنّه قد أولاه عناية خاصة حيث لاحظ أنّ هذه الظاهرة اللغوية موجودة في أنواع التعابير الراقية ويزيدها رونقاً وجمالاً، ولذا نجده يُهاجم النحويين لأنّهم لم يوفوها حقها من البحث والدرس وقلّلوا من شأنها فيقول: « وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يُقال: أنّه قُدّم للعناية ولأنّ ذكره أهمّ، من غير أن يُذكر من أين كانت تلك العناية؟ ولِمَ كان أهمّ ؟، ولتخيُّلهم ذلك قد صغر أمرُ التقديم والتأخير في نفوسهم وهوّنوا الخطبَ فيه، حتّى إنّك لَترى أكثرهم يرى تتبّعه والنظر فيه ضرباً من التكلّف ولم ترَ ظنّاً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»(الجرجاني، ٢٠١٧: ١٠٨)، فالنحو عنده وسيلة الشاعر والفنان لإبراز الصور الذهنية والمعاني الباطنية داخل السياق، وعندئذ يصبح للتقديم والتأخير قيمتهما ومكانتهما في التراكيب اللغوية، ونرى أنّ الجرجاني لم يقف عند حدود الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير وقصرها على العناية والاهتمام بل ذهب إلى ما هو أعمق و أدقّ، وهو « تحرير المعنى وضبط الدلالة» (لاشين، د.ت: ١٤٣) لأنّ التقديم والتأخير يُمثّل « ضرباً من الخروج عن اللغة الإبداعية» (عبدالمطلب، ١٩٩٤م: ٣٢٩) وينبغي أن نعلم أنّه «لا يكفي في التقديم مجرّد ذكر الاهتمام، بل لا بدّ أن يُبيّن أنّ الاهتمام من أيّ جهة وبأيّ سبب».(الطرابلسي،٢٠١٨: ٢٢١)

إنّ وصف الجرجاني لعملية التقديم والتأخير بقوله: (وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان) يتفق مع استخدام مصطلح (التحويل بالترتيب) الذي يستخدم في الدراسات التحويلية الحديثة بدل (التقديم والتأخير) .

ويُضيف الجرجاني ويزيد الأمر بياناً بقوله» واعلم أنّ من الخطأ أن يُقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيُجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض ... ذلك أنّ من البعيد أن يكون من جملة النظم ما يدلّ تارةً ولا يدلّ أخرى . فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام، أنّه قد اختصّ بفائدة لا تكون تلك

الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كلّ شيء وكلّ حال.» (٢٠١٧: ١١٠)

ومع أنّ من المحدثين من خالف النحاة والبلاغيين كالدكتور إبراهيم أنيس حيث رفض أن يكون للتقديم أثر في المعنى وحمل على سيبويه، وعلى الجرجاني بقوله: «ليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه، أو المفعول عن موضعه ما ساقه سيبويه من حديث عن العناية والاهتمام، إذ كما قال الجرجاني لم يذكر في ذلك مثالاً، وكذلك لا يشفع في هذا الانحراف فلسفة عبدالقاهر حين أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارته المشهورة (قتل الخارجيَّ زيدٌ)». (ب، ١٩٧٨: ٢٤٤) واللجوء إلى التقديم عنده في النثر ليس من الأساليب الصحيحة، ولكنّه رخصة غير مقبولة إلاّ لحاجة ملحّة، ومقبولة في الشعر « فما قاله النحاة من جواز تقدّم المفعول على فاعله حين يُؤمن اللبس، لا مبرّر له من أساليب صحيحة ولا يعدو من أن يكون رخصة منّ بها علينا النحاة دون حاجة ملحّة إليها، غير أنّا قد نقبلها في الشعر ذلك لأنّ للشعر أسلوبه الخاصّ»(أنيس/ب ، ١٩٧٨: ٢٤٤)

كما أنّه يستهجن من النحاة تصرّفهم في تقديم الحال وتأخيرها، ويعدّها حالة من الفوضى قائلاً: « ولَعمري تلك هي الفوضى التي لا تقبلها أيّ لغة من اللغات، فضلاً عن لغة منظمة دقيقة النظام كلغتنا العربية. (أنيس/ب، ١٩٧٨ ، ٣٣٤)

فالتقديم عند أنيس ليس له أيّ أثر في المعنى الدلالي للتركيب، وأمّا ما ورد في القرآن الكريم من تقديم فإنّما هو عنده رعاية الفاصلة القرآنية وموسيقاها، لا غير . وقد أخذ بهذا الرأي أحمد نصيف، فالتقديم عنده اقتضاء للسياق الموسيقي للجملة، فيقول: « وقد يقتضي هذا السياق الموسيقي أن يقدّم في أجزاء الجملة ويُؤخر لتناسب السياق». (نصيّف، ١٩٧٩، ٩٦)

لكنّ هذا الفهم للتقديم والتأخير يُؤدّي إلى إغفال المعنى المتحصّل بالتقديم، من أجل المحافظة على الشكل، ويكفي لبيان خطأ ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس أن نتمعّن في قوله تعالى: سمحوَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا سجى[البقرة: ١٤٣] فصلة الشهادة (على الناس) قد أُخرت في الجملة الأولى وقُدّمت (عليكم)في الثانية لأنّ الغرض في الجملة الأولى إثبات شهادتهم على الأمم، والغرض في الثانية اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم(الزمخشري، ٣١٨/١) فإنّ التقديم في هذه الآية جاء لمعنىً، فلو غيّرنا موقع المقدّم لاختلّ المعنى وانحرف، ولا نجد للفاصلة فيها أيّ نصيب .

وإنّ من المؤكّد أنّ للتقديم والتأخير في الآيات والتراكيب القرآنية دقائق عجيبة ولطائف بديعة، فقد « حرصت الجملة في القرآن على أن يكون هذا التقديم مشيراً إلى مغزىً، دالاً على هدف، حتى تصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج نفسي يتقدّم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير، فيتقدّم مثلاً بعض أجزاء التركيب حين يكون المحور الذي يدور عليه الحديث وحده فيكون هو المقصود والمعني» . (بدوي، د.ت، ١١٢)

إذن فإنّ لتقديم بعض الألفاظ وتأخير بعض داخل الآيات والتراكيب القرآنية أغراضاً وغايات متعددة، قد تصل عند بعض العلماء والباحثين إلى أكثر من ثلاثين دافعاً وسبباً وغرضاً. وسنعمل في هذا البحث على الكشف عن أغراض التحويل بالترتيب بالتقديم والتأخير ودلالاته في التراكيب والآيات الدالّة على الدعوة والداعية .

المبحث الأوّل

التحويل بالترتيب في مكوّنات التركيب الإسنادي

أولاً: التحويل برتبة المسند إليه

تقوم العملية الإسنادية على ركنين أساسيين، المسند والمسند إليه، والمسند إليه في الجملة، هو ما يُتحدّث ويُخبر عنه، وتقديمه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له على حدّ قول عبد القاهر الجرجاني (٢٠١٧، ١٣٣)، والمسند إليه في الجملة الاسمية هو المبتدأ، وحقّه التقديم على الخبر في الأصل، أمّا في الجملة الفعلية فالفاعل هو المسند إليه وتأخيره عن الفعل هو الأصل، وتقديمه يصبح انحرافاً عن هذا الأصل، وهذا الانحراف يكون لأغراض وغايات تتعلّق بالمعنى والدلالة، وعندئذ تتحوّل الجملة تحويلاً جذرياً، فتصبح جملة اسمية المبتدأ فيها هو الفاعل في المعنى .

وقد أشار سيبويه إلى أنّ هذا التقديم يأتي لتنبيه السامع فيقول: « وإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيدٌ ضربته . فلزمته الهاء، وإنّما تريد بقولك مبنيّ عليه الفعل أنّه في موضع منطلقٌ إذا قلت: عبدالله منطلقٌ. فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول وارتفع به، فإنّما قلت عبد الله فنبّهته، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء.» (سيبويه،١٩٨٨م :٨١/١)

وقد بيّن الجرجاني المواضع التي يتطلّب أداء المعنى تقديم الفاعل (المسند إليه) فقال: « واعلم أنّ الذي بان لك في الاستفهام والنفي من المعنى في التقديم، قائم مثله في الخبر المثبت. فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تُحدّث عنه بفعلٍ فقدّمت ذكره، ثمّ بنيت الفعل عليه فقلت: (زيدٌ فعلَ) و (أنا فعلتُ) و (أنت فعلتَ)، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل».(الجرجاني،٢٠١٧، ١٢٨)

وقد اختلفت الآراء في تسمية هذه المسألة، فبعضهم يصطلح عليه تقديم المبتدأ على الفعل(السامرائي، ٢٠٠٠م :١٧١/١)، وبعضهم يُسمّيه تقديم المسند إليه على الفعل .(عبد العليم السعدي،٢٠٠٠م: ١٠٣) ويشير الجرجاني إلى غرض ذلك التقديم وإفادته توكيد إثبات الفعل له قائلاً: « فإنّ ذلك من أجل أنّه لا يُؤتى بالاسم معرّى من العوامل إلاّ لحديث قد نوي إسناده إليه . وإذا كان كذلك فإذا قلت: (عبدالله) فقد أشعرت قبله بذلك أنّك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً (قام) أو قلت (خرج) أو قلت (قدم) فقد علم ما جئتَ به وقد وطّأت له وقدّمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المهيّأ له المطمئنّ إليه، وذلك لا محالة أشدّ لثُبوته، وأنفى للشبهة، وأمنع للشكّ، وأدخلُ في التحقيق .» (الجرجاني، ٢٠١٧، ١٣٢) فإنّ ذكر الشيء بعد التنبيه عليه والتقديم له أبلغ وأقوى لا محالة، ولتقديم الفاعل على الفعل أغراض كثيرة.(السامرائي،٢٠٠٠م: ٤١/٢)

وفيما يأتي عرض لبعض مواطن تقديم المسند إليه (الفاعل) في المعنى في التراكيب القرآنية الدالّة على الدعوة والداعية :

١- منه قوله تعالى: سمح وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ سجى [يونس: ٢٥]

هذه الآية وغيرها من الآيات الواردة في بيان أهداف الدعوة ومقاصدها تُبيّن لنا أنّ الغرض الأساس والهدف الأسمى للدعوة هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وطريق الهدى والسلام والاستقامة، يدعوهم إلى دار السلام ويهديهم إلى صراط الله المستقيم.

والبنية التوليديّة للآية الكريمة هي: (يدعو الله إلى دار السلام) فالجملة في أصلها التوليدي فعلية مكوّنة من (فعل + فاعل + جار ومجرور)، طرأ عليها تحويل جذري بإعادة ترتيب الجملة على وفق قواعد النحو التحويلي، فقدّم المسند إليه (الفاعل) وهو لفظ الجلالة (الله) على المسند الذي هو (يدعو إلى دار السلام) فأفاد الاختصاص والاهتمام،

وفيـه دلالـة التأكيـد عـلى أنّ اللـه وحـده هـو الداعـي إلى الجنّـة بإرسـاله الرسـل وإنزالـه الكتـب والصحـف لهـم، فطريـق الله هودعـوة التوحيـد وهـو السـبيل الوحيـد الـذي يسـوق الإنسـان إلى الجنّـة التـي وّصفـت في الآيـة بــ (دار السـلام)، والمقصـود بقولـه: (إلى دار السلام) الى العمـل المؤدّي الى دخـول الجنـة. (أبـو الفـداء، د.ت، ٣٦/٤)

والجملـة ليسـت جملـة اسـمية مـع أنّ الوظيفـة النحويـة للفـظ الجلالـة المقدّم مسـألة خلافيـة، فالكوفيـون أجـازوا تقديـم الفاعـل عـلى الفعـل مـع بقـاء وظيفتـه النحويـة، لكـنّ البصريـن لا يُجيـزون ذلـك ويُعربونـه مبتـدأ والجملـة الفعليـة بعـده خبراً لـه، والضمـير المسـتتر في (يدعـو) هـو الرابـط الـذي يربـط الخـبر بمبتدئـه وجوبـاً . (الأنبـاري، ٢٠٠٩، ١٥٦/٢-١٥٨)

ومثلـه قولـه تعـالى: سمحوَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ سجى [البقـرة: ٢٢١]

ففـي هـذه الآيـة ومـا يليهـا مـن الآيـات الدعـوة إلى تفضيـل الإيمـان عـلى مظاهـر متـاع الدنيـا، وبيـان لمـا يدعـو إليـه الإسـلام مـن دسـتور لـلأسرة، وتنظيـم للقاعـدة الركينـة التـي تقـوم عليهـا الجماعـة المسـلمة، ويقـوم عليهـا المجتـع الإسـلامي، وفيهـا تأكيـد عـلى أنّ الدعـوة إلى الجنّـة والفـلاح هـي دعـوة اللـه سـبحانه لا غـير، ودعـوة المشركـين مـا هـي إلاّ دعـوة إلى نظـام مآلهـا إلى النـار لا محالـة .

فالطريقـان مختلفـان، والدعوتـان مختلفتـان، فكيـف يلتقـي الفريقـان في وحـدة يقـوم عليهـا الحيـاة ؟ إنّ طريـق المشركـين والمشركات إلى النـار، ودعوتهـم إلى النـار، وطريـق المؤمنـين والمؤمنـات هـو طريـق اللـه، واللـه يدعـو إلى الجنّـة والمغفـرة بإذنـه أي : إلى التوبـة والتوحيـد والعمـل الموجـب للجنـة .... فـما أبعـد دعوتهـم إذن عـن دعـوة اللـه . (سـيدقطب: ٢٠٠٥،١/ ٢٤٠)

ويُلحـظ في البنيـة السـطحيةللجملتين المتقابلتـين في الآيـة الكريمـة[أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ] تحويـل بإعـادة الترتيـب لبيـان حـال الفريقـين ومـآل الدعوتـين، فالبنيـة العميقـة للجملـة الأولى: (يدعـو المشركـون إلى النـار) مكوّنـة مـن (الفعـل + الفاعـل + الجـار والمجـرور) طـرأ عليهـا تحويـل بتقديـم المسـند إليـه (الفاعـل) عـلى المسـند (الفعـل)، فأصبحـت الجملـة (المشركـون يدعـون إلى النـار) لبيـان اسـتمرارهم وثباتهـم عـلى ذلـك عـلى مـدى العصـور والأزمـان في أقوالهـم وأفعالهـم، ثـمّ طـرأ عليهـا تحويـلات أخـرى فحـلّ اسـم الإشـارة (أولئـك) محـلّ (المشركـون) وعـدل عـن ذكـر اسـمهم صراحـة .

والبنيـة العميقـة للجملـة الثانيـة (يدعـو اللـه إلى الجنـة والمغفـرة بإذنـه) مكوّنـة أيضـاً مـن (فعـل + فاعـل + جـار ومجـرور)، ولكنّهـا بعـد التحويـل الجـذري صـارت جملـة اسـمية مكوّنـة مـن (مبتـدأ +خـبر)، فقـدّم المسـند إليـه الـذي هـو لفـظ الجلالـة عـلى المسـند تعظيـماً لـه وتخصيصـا لدعـوة الجنّـة والمغفـرة بإذنـه، فصـارت الجملـة (اللـه يدعـو إلى الجنـة والمغفـرة بإذنـه) .

ومـن هنـا يتبـيّن لنـا علّـة التقديـم وأهميّتـه، فـإنّ تقديـم الفاعـل في الآيتـين فيـه دلالـة عـلى قـصر الدعـوة إلى الجنّـة والمغفـرة عـلى اللـه سـبحانه، وقـصر الدعـوة إلى النـار عـلى هـؤلاء المشركـين .

٢- ومنـه قولـه تعـالى: سمح وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ سجى [الحديـد: ٨]

لمـا تقـدّم طلـب الإيمـان في الآيـات السـابقة قـال في هـذه الآيـة (وَمـا لَكُـمْ لَا تُؤْمِنُـونَ بِاللّـه) أي كيـف لا تؤمنـون ولـم لا تُؤمنـون ودواعـي الإيمـان متكاثـرة مُلزمـة ؟.

فقد تضافرت الدواعي العقلية والنفسية علاوة على السماع المؤيد بالحجج القاطعة على الإيمان بالله فلمَ لا تؤمنون، فالرسول يدعوكم للإيمان وقد جاء بالآيات البينات والدلائل الواضحة على صحة ما يدعو إليه وصدقه . ثم إنّ الله سبحانه قد أخذ ميثاقكم على الإيمان به بما أودعه في عقولكم من الاستدلال على وجوده بآياته الكونية وبما أودعه في فطركم على الإيمان به . (السامرائي،٢٠١٧، ٣٤٧/١- ٣٤٨)

«وقوله سبحانه: (وَما لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّه)، هو استفهامٌ على سبيل التَّأنيب والإنكار: أي: كيف لا تثبتون على الإيمان ودواعي ذلك موجودة ؟. (أبو حيان، ١٤٢٠، ١٠/ ١٠٢) وجملة (والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ) حال من ضمير (لا تُؤْمِنُونَ) مفيدة توبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه، وهو دعوة الرسول لهم، أي وأيُّ عذر في ترك الإيمان والرسولُ يدعوكم إليه وينبهكم عليه. (أبو السعود، دت: ٢٠٥/٨)و(الآلوسي، ١٤١٥هـ ١٤/ ١٧٠)

والبنية التوليدية للآية الكريمة هي: (يدعوالرسول إياكم لتُؤمنوا بربّكم) مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به) طرأ عليها تحويل بإعادة ترتيب الجملة بتقديم المسند إليه على المسند، للاهتمام ولتعظيم شأن (الرسول) الذي هو المسند إليه لقيامه بدعوتهم بنفسه، فهذا من موجبات الإيمان لهم، وتحقيق متطلبات الإيمان في أفعالهم بالقيام بالأعمال الصالحة ، ثم طرأ عليها تحويلات أخرى بإحلال ضمير الجماعة المتصل للمخاطب محلّ الضمير المنفصل أو الاسم الظاهر .

فتقديم الرسول لإبراز دور الداعي المصرّ على دعوتهم للإيمان دون كلل وفتور كما يتبيّن من جملة الخبر الفعلية المضارعية الدالة على الاستمرار والتكرار في الحال والاستقبال، ثمّ إنّ تحويل الجملة من الفعلية إلى الاسمية للدلالة على صفة الثبوت لإصرار الرسول على تحقيق مهمته كداعٍ لا يفتر عن الدعوة .

ومثله قوله تعالى: سمح إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ١٥٣سجى [آل عمران: ١٥٣]

فهذه الآية الكريمة تبيّن لنا ثبات الرسول وشجاعته في أحلك الظروف وأصعبها، وهو يدعو المؤمنين إلى الصبر والثبات في وجه أعداء الله، وعدم الفرار من مواجهتهم في ساحة القتال، فالجملة الحالية (وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ) تصوّر حال الرسول وهو يدعو الذين أصابهم الرعب والهزيمة يوم أُحُد إلى الصبر وهو يُطمئنهم على حياته بعدما صاح صائح: إنّ محمداً قد قُتل، فزلزل ذلك قلوبهم وأقدامهم . (سيدقطب،٢٠٠٥: ٤٩٥/١)

والبنية العميقة التوليدية للآية الكريمة (يدعو الرسول المؤمنين) وهي جملة فعلية حالية مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به)، وقد طرأ عليها تحويل جذري بإعادة ترتيبها، فقدّم المسند إليه (الفاعل) توكيداً له واهتماماً به، فصارت الجملة اسمية (الرسول يدعوالمؤمنين) لأنّ تقديم الرسول جاء ليلفت انتباههم إلى وجوب طاعته فهو نبيّ الله المرسل، وهو القائد الذي يقودهم، وقد تمّ إحلال الضمير المتصل (كم) محلّ الاسم الظاهر (المؤمنين) فأصبحت العبارة: (الرسول يدعوكم) ثمّ زيدت شبه الجملة (في أخريكم) لبيان شناعة فعلهم بتركهم رسول الله وراءهم في ساحة القتال مع الطائفة المتأخرة من المؤمنين، فكان دعاء الرسول لهم: أي عباد الله ارجعوا، واصبروا واثبتوا في وجه أعدائكم . (الشوكاني، ١٤١٤هـ: ١/ ٤٤٧)

والجملة الفعليّة الحالية صارت اسميّة للدلالة على تأكيد الرسول الداعية على الثبات وعدم التراجع والفرار، وهو ثابت الجأش يقود وبيده زمام الأمر.

٣- ومنه قوله تعالى: سمحأَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٠سجى [الزخرف: ٤٠]

هذه الآية الكريمة تبيّن بوضوح الحرص الشديد للداعيةالنبيّ ﷺ على هداية الناس وإرشادهم إلى الإيمان وتبليغ

دعـوة الحـق .

والأصـل التوليـدي للآيـة الكريمـة سمحأَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ٠سجى هـو: (يُسـمع النبـيّ الصـمّ) مكوّنة مـن (الفعـل + الفاعل + المفعـول بـه) طـرأ عـلى بنيتهـا التوليديـة تحويـل جـذري بإعـادة ترتيـب الجملـة بتقـدّم المسـند إليـه (الفاعـل) وهـو (النبـيّ) ﷺ عـلى المسـند (الفعـل) وقـد وضـع منزلـة مـن يـرى أنّـه يُسـمع الصُـمّ ويهـدي العُمـي، والمعنـى في تقديـم الاسـم وإن لم يقـل: (أ تُسـمع الصـمّ) هـو أن يُقـال للنبـيّ: أ أنـت خصوصـاً قـد أوتيـتَ أن تُسـمع الصُـمّ ؟، وأن يُجعـل في ظنّـه أنّـه يسـتطيع إسـماعهم، بمثابـة مـن يظـنّ أنّـه قـد أوتي قـدرةً عـلى إسـماع الصُـمّ فليـس إسـماع الصـمّ مـمّا يدّعيـه أحـدٌ فيكـون ذلـك للإنـكار، وإنّمـا المعنـى فيـه التمثيـلُ والتشـبيه، فإنّـه لا يُقـرّر بالمحـال، وبمـا لا يقـولُ أحـدٌ أنّـه يكون.(الجرجـاني، ٢٠١٧: ١٢٠ - ١٢١)

ثـمّ طـرأ عليهـا تحويـل بزيـادة حـرف الاسـتفهام، ويـرى ابـن عاشـور أنّ الاسـتفهام «لإنـكار أن يكـون حـرص الرسـول صـلّى اللـه عليـه وسـلّم عـلى هداهـم ناجعـاً فيهـم إذا كان اللـه قـدّر ضلالهـم فأوجـد أسـبابه، قـال تعـالى: سمح إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ سجى [النحـل: ٣٧]، ولمـّا كان حـال الرسـول صـلّى اللـه عليـه وسـلّم في مُعـاودة دعوتهـم كحـال مـن يظـنّ أنّـه قـادرٌ عـلى إيصـال التذكـير إلى قلوبهـم نُـزِّل منزلـةَ مـن يظـنُّ ذلـك فخوطـبَ باسـتفهام الإنـكار وسُـلّط الاسـتفهام عـلى كلام فيـه طريـق قـصرٍ بتقديـم المسـند إليـه عـلى الخـبر الفعـليّ مـع إيـلاء الضمـير حـرف الإنـكار وهـو قـصرٌ مؤكّـدٌ وقـصرُ قلـبٍ، أي أنـت لا تُسـمعهم ولا تهديهـم بـل اللـه يُسـمعهم ويهديهـم إن شـاء». (ابـن عاشـور،١٩٨٤، ٢١٦/٢٥)

ونظـير هـذه الآيـة قولـه تعـالى: سمحوَلَوۡ شَاءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ سجى [يونـس: ٩٩]

فهـذه الآيـة الكريمـة تُبـيّن القاعـدة الكليّـة للكفـر والإيمـان، فقـد اقتضـت حكمـة الخالـق خلـق الكائـن البـشري باسـتعداد للخـير والـشرّ وللهـدى والضـلال، ومنحـه القـدرة عـلى اختيـار هـذا الطريـق أو ذاك، وتـدلّ دلالـة واضحـة عـلى حـرص الداعيـة النبـي ﷺ عـلى دعـوة النـاس إلى الإيمـان .

فالبنيـة التوليديـة للآيـة الكريمـة سمح أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَسجى هـي: (يُكـره النبـيّ النـاسَ) مكوّنـة مـن (الفعـل + الفاعـل + المفعـول بـه) طـرأ عليهـا تحويـل بإعـادة ترتيـب الجملـة بتقـدُم المسـند إليـه عـلى المسـند؛ فأصبحـت الجملـة جملـة اسـمية، (النبـيّ يُكـره النـاس) المبتـدأ فيهـا هـو الفاعـل في المعنـى، ثـمّ إنّ في وضـع الضمـير المنفصـل موضـع الاسـم بعـد «حـرف الاسـتفهام إيذانـا بـأن الإكـراهَ أمـرٌ ممكـنٌ لكـن الشـأنَ في المكـرَه مَـنْ هـو؟ ومـا هـو إلاّ هـو وحـده لا يُشـارك فيـه، لأنّـه القـادرُ عـلى أن يفعـل في قلوبهـم مـا يضطرّهـم إلى الإيمـان وذلـك غـيرُ مسـتطاعٍ للبـشر» (أبوالسـعود، د.ت: ١٧٧/٤)، ويُبـيّن ابـن عاشـور غـرض التقديـم في الآيـة قائـلاً: «ولأجـل كـون هـذا الحـرص الشـديد هـو محـلّ التنزيـل ومصـبّ الإنـكار وقـع تقديـم المسـند إليـه عـلى المسـند الفعـليّ، فقيـل: أفأنـت تُكـره النَّـاس دُونَ أن يُقَـالَ: أَفَتُكـره النَّـاس، أو أَفأَنـت مُكـرهُ النَّـاسِ، لأَنَّ تَقديـم الْمسـندِ إِليـه عـلى مِثـل هـذا الْمُسـند يُفيـد تَقَـوِّي الحُكـمِ فيُفيـدُ تَقويـة صُـدُورِ الإكـراه مـن النبـيّ ﷺ لتكـونَ تلـك التقويـة محـلّ الإنـكار. وهـذا تعريـض بالثنـاء عـلى النبـيّ ومعـذرةٌ لـه عـلى عـدم اسـتجابتهم إيّـاه، ومـن بلـغ المجهـود حـقّ لـه العـذر» (ابـن عاشـور،١٩٨٤: ٢٩٣/١١)

وقـد أوضـح الجرجـاني دلالـة تقديـم الاسـم عـلى الخـبر الفعـليّ الـذي يكـون الفعـل فيـه مضارعـاً دالاً عـلى الاسـتقبال ومسـبوقاً بحـرف الاسـتفهام قائـلا: «وإن أردت بــ (تفعـلُ) المسـتقبل كان المعنـى إذا بـدأت بالفعـل عـلى أنّـك تعمـد بالإنـكار إلى الفعـل نفسـه، وتزعـم أنّـه لا يكـون، أو أنّـه لا ينبغـي أن يكـون ... فـإن بـدأت بالاسـم فقلـت: أ أنـت تفعـلُ ؟ أو قلـت:

أ هو يفعلُ ؟ كنت قد وجّهت الإنكار إلى نفس المذكور ، وأبيت أن تكون بموضع أن يجيء منه الفعل» (٢٠١٧: ١١٦ -١١٧). وفصّل القول في هذا النوع من التقديم وقسّمه على ضربين، ومثّل للضرب الأوّل وهو الذي يكون (يفعلُ) بعد الهمزة لفعل لم يكن بالآية الأولى سمحأَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ سجى [الزخرف: ٤٠] ، ومثّل بالآية الثانية للضرب الثاني، قائلاً: « والضرب الثاني وهو أن يكون (يفعلُ) لفعل موجودٍ، فإنّ تقديم الاسم يقتضي شبهاً بما اقتضاه في الماضي من الأخذ أن يُقرّ أنّه الفاعل ... وعلى ذلك قوله تعالى: سمح أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ سجى. [يونس: ٩٩]» (الجرجاني، ٢٠١٧، ١٢٢-١٢)

وقد أشار إبراهيم الحنفي إلى التقديم في الآيتين وفائدته في شرحه للتلخيص قائلاً: «فإن قلت: قد جعل صاحب المفتاح (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) و(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) من قبيل إنكار الحكم دون الفاعل مع أنه ولى الفاعل الهمزة، فلم يتم أن الإنكار يتعلق بما ولي الهمزة، وعلل الشارح نفي كون الإنكار للفاعل بأن النبي ﷺ لم يعتقد اشتراكه في ذلك، ولا انفراده به، فلا يكون التقديم فيه للتخصيص، بل لتقوية الحكم المنكر، وفيه بحث؛ لأن اعتقاد الاشتراك باطل، فلا وجه لإنكار التخصيص الذي هو لرد الاشتراك، فلا وجه لذكر الاشتراك في هذا التعليل، ويمكن دفعه بأن إنكار التخصيص بإنكار فاعلية المخاطب، فليس إنكار التخصيص مثبتاً للإشتراك» (الحنفي،٢٠٠١م ،٥٩١/١)

وهكذا عبّر لنا التركيب القرآني بعملية التحويل بالترتيب عن حرص الداعية النبيّ ﷺ على دعوة الناس جميعاً إلى الإيمان، وقد هوّن الله عليه الأمر وخفّفه وبيّن له بأنّ النبيّ عليه البلاغ، وأمّا الهداية وإكراههم على الإيمان فهو خارجٌ عن قدرته سمحوَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ سجى [النور: ٥٤] .

ثانياً: التحويل برتبة المسند:

المسند هو المحكوم به، وفي الجملة الفعلية هو الفعل ورتبته التقديم، أمّا في الجملة الاسمية فالمسند هو الخبر، ورتبته التأخير عن المبتدأ، ولكن قد يتقدّم على المبتدأ في حالات لأغراض بلاغية.

وفيما يأتي بعض الآيات التي جرى فيها تحويل بالترتيب بتقديم المسند (الخبر) على (المسند إليه) المبتدأ والتي أدّت تحويلها إلى معاني دلالية مقصودة جديدة:

١- منه قوله تعالى: سمحلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ سجى [الأعراف: ٥٩]

البشريّة تبدأ طريقها مهتدية مؤمنة موحّدة، على الفطرة التي خلقها اللّه عليها، ثمّ تنحرف إلى جاهليّة ضالّة مشركة، وهنا يأتيها داعية التوحيد (الرسل والأنبياء) ليؤوب بها إلى الحقيقة التي كانت عليها قبل أن تضلّ وتُشرك، بدعوته لهم سمحيَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ سجى فهي حقيقة واحدة يقوم عليها دين اللّه كلّه، ويتعاقب بها الرسل جميعاً على مدار التأريخ .. فهي دعوة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى ومحمد صلوات اللّه وسلامه عليهم جميعاً .(سيّد قطب، ٢٠٠٥،ص: ٣/ ١٣٠٤)

والأصل التوليدي للآية الكريمة سمح مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓسجى: (اللهُ إلهٌ لكم) فهي جملة توليدية اسميّة مكوّنة من (مبتدأ + خبر + جار ومجرور) طرأ عليها تحويلٌ بالترتيب بتقديم الخبر مع الجارّ والمجرور على المبتدأ وتحويلٌ آخر بزيادة حرف النفي و(غير) لإفادة حصر الألوهية على اللّه فصارت العبارة (ما إلهٌ لكم غيرُ الله) ثم طرأ عليها

تحويل بالترتيب وذلك بتقديم الجار والمجرور (لكم) التي هي«للتَّخصيصِ والتَّبيينِ، أي: ما لكُم في الوجودِ أو في العالمِ إلهٌ غيرُ الله». (أبو السعود،د.ت: ٢٣٥/٣)

ويرى الشوكاني أنّ «جملة (ما لكم من إلهٍ غيره) في حكم العلّة لقوله (أعبدوا)، أي: أعبدوه لأنّه لم يكن لكم إلهٌ غيرُه، حتى يستحقّ منكم أن يكونَ معبوداً»(١٤١٤هـ: ٢٤٦/٢)

وأمّا قراءة (غيره) فقد اختلف القرّاء فيه، فقرأ الكسائيّ وحده بالخفضِ على أنّه نعتٌ لـ (إلهٍ)، وقرأ الباقون (غيرُهُ) بالرفع في كلّ القرآن.(الفارسي،١٩٩٣: ٣٩/٤)

وقد عبّر النصّ القرآني بالتحويلات العديدة عن أهميّة التوحيد التي هي مغزى الرسالات السماوية جمعاء، ولذا يتحتّم على كلّ داعية إلى الله عز وجل أن يبدأ دعوته بتعليم قومه التوحيد، فإذا علّمهم انتقل بعد ذلك إلى الشرائع والأحكام، فالتوحيد هو الأساس والأصل، وبدونه ينتفي الدين والإيمان.

٢- ومنه قوله تعالى: سمح **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ الأخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا٢١**سجى [الأحزاب: ٢١]

بيّن الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة طريقة مهمّة من طرائق الدعوة، والتي لها تأثير بالغ في نفوس المدعوين، وهي طريقة الدعوة بالقدوة الحسنة، فكان داعية الإسلام الرسول الأكرم ﷺ خير قدوة وأعظم أسوة للدعوة، فقد اجتمعت فيه جميع الخصال الحميدة والأخلاق الرفيعة حتى أنّ القرآن الكريم جعل اتباعه والاقتداء به في أقواله وأفعاله وأحواله من علامات الإيمان، وتركهما من مظنّات عدم الإيمان، فالأسوة به واجبة . (الشنقيطي، ١٩٩٥: ١٤٥/٥) .

والبنية التوليدية للآية الكريمة سمح**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ**سجى هي (أسوةٌ حسنةٌ للمسلمين في رسول اللّه) والجملة اسميّة مكوّنة من (مبتدأ + خبر)، وقد طرأ عليها تحويل بتقديم الخبر على المبتدأ جوازا، لأنّ الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة مخصّصة، فأصبحت الجملة: (للمسلمين أسوة حسنة) ثمّ حلّ الضمير المتصل لجماعة المخاطبين (كم) محل الاسم الظاهر (المسلمين) فصارت (لكم أسوةٌ حسنةٌ)، وقد خاطب اللّه سبحانه المسلمين يوم الأحزاب ، وبيّن لهم أنّ التأسّي محصور بذات رسول اللّه ﷺ لا بأحدٍ غيره، فقد زيدت (في رسول اللّه) لتخصيص المؤتسى به، فأصبحت الجملة (لكم أسوةٌ حسنةٌ في رسول اللّه) وللتأكيد على تخصيص الرسول الداعية ﷺ بالتأسّي والاقتداء قدّم شبه الجملة (في رسول اللّه) لأنّ الأسوة لا تُؤخذ إلاّ من ذاته وفي ذاته، وقد يُفهم من المؤكّدات ومن تقديم شبه الجملة (في رسول الله) الحصر والقصر، أي: (ما كان لكم أسوةٌ حسنةٌ إلاّ في رسول الله)، فاللام الواقعة في جواب القسم، و (قد) و (كان) تفيد تحقّق حصول التأسّي عند من يرجو اللّه واليوم الآخر .

والأسوة في اللغة بمعنى القدوة، يُقال: «لي في فلان إِسْوَةٌ وأُسْوَةٌ، أي قدوةٌ وائتمام». (الجوهري، ١٩٨٧م، ص ٢٢٦٨/٦)، وهو اسم يوضع موضع المصدر، وقد قرأ عاصم (أُسوةٌ) بالضمّ للهمزة، وقرأ الباقون بكسرها، وهما لغتان جيدتان كما قال أبو منصور. (أبو منصور، ١٩٩١م: ٢/ ٢٨٠)

وفي بيان حقيقة المراد من (أسوةٌ حسنةٌ) أشار الزمخشري إلى أنّ فيه وجهين: « أحدهما: أنه في نفسه أسوة حسنة، أى: قدوة، وهو المؤتسى، أى: المقتدى به. والثاني: أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتُتّبع. وهي المواساة بنفسه .» (١٤٠٧هـ ص٣/ ٥٣١)

وفي هذه الآية عتابٌ للمتخلّفين عن القتال مع رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، إلاّ أنّ سبب نزولها وإن كان خاصّاً،

فهـي عامـّةٌ. ففيهـا الدليـل عـلى الاقتـداء بأفعـال الرسـول جميعهـا، إلاّ مـا دلّ دليـلٌ شرعـيٌّ عـلى اختصاصـه بالرسـول ﷺ، فالأُسـوة الحسـنة هـو القـدوة الصالحـة، وهـو في الرسـول ﷺ ؛ فـإنّ المتـأسي بـه سـالكٌ الطريـق الموصـل إلى كرامـة اللـه، وهـو الـصراط المسـتقيم، أمّـا الأسـوة بغـيره إذا خالفـه؛ فهـو الأسـوة السـيّئة . (السـعدي،٢٠٠٠: ٦٦٠) .

يقـول سـيّد قطـب عـن سـبب التحويـل بالتقديـم في هـذه الآيـة، وقـصر الاقتـداء بداعيـة الإسـلام الرسـول ﷺ لمـن كان يرجـو اللّـه واليـوم الآخـر، وتطلـب نفسـه القـدوة الطيبـة: « وقـد كان رسـول اللـه ﷺ عـلى الرغـم مـن الهـول المرعـب والضيـق المجهـد، مثابـة الأمـان للمسـلمين، ومصـدر الثقـة والرجـاء والاطمئنـان» .(٢٠٠٥: ٢٨٤١)

و إنّ هـذه الآيـة الكريمـة وإن كان نزولها في غـزوة الأحـزاب- حيـث إنّ الرسـول ﷺ قـد شـارك أصحابـه في حفـر الخنـدق، وفي الـضرب بالفـأس، وفي حمـل الـتراب و شـاركهم في تحمّـل آلام الجـوع والسـهر- إلاّ أنّ المقصـود بهـا وجـوب الاقتـداء بالرسـول ﷺ في جميـع أقوالـه وأفعالـه، كـما قـال سـبحانه: سمحوَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ سجى [الحـشر: ٧] (طنطـاوي، ١٩٩٧: ١١/ ١٩٤)

وقـد ورد هـذا التحويـل أيضـاً في آيتـين في سـورة الممتحنـة: سمح قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ سجى [الممتحنـة: ٤] وسمحلَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ سجى [الممتحنـة: ٦] .

٣- ومنه قوله تعالى: سمحإِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ سجى [البقرة: ٦]

يبـيّن اللـه سـبحانه في بدايـة سـورة البقـرة الملامـح الأساسـية للطوائـف التـي واجهتهـا الدعـوة في المدينـة، ونجـد في رسـم هـذه الملامـح خصائـص التعبـير القرآنيـة، فترتسـم الصـور مـن خـلال الكلـمات وتقـوم الكلمـة مقـام الخـط واللـون. فيرسـم أولاً صـورة المتقـين المفلحـين الذيـن تكـون رسـالة الدعـوة - القـرآن الكريـم – هـدى لهـم، ويُقابـل ذلـك صـورة الكافريـن في هـذه الآيـة فـإنّ الإنـذار وعـدم الإنـذار سـواء بالنسـبة لهـم .(سـيد قطـب، ٢٠٠٥م:٤١/١-٤٣)

فافتتـح اللـه سـبحانه سـورة البقـرة بذكـر أوليائـه وبيـان الصفـات التـي ارتقـى بهـم إلى وصفهـم بالمفلحـين، فهـم قـد فتحـوا قلوبهـم وعقولهـم للدعـوة، فأصبـح القـرآن هـدى لهـم، وأتبـع ذكرهـم بذكـر المـردة مـن الكفـار الذيـن صمّـوا آذانهـم عـن دعـوة الأنبيـاء وأعمـوا أبصارهـم عنهـا فانهمكـوا في الضـلال.

و» اختلـف العلـماء في تأويـل هـذه الآيـة، فقيـل: هـي عامّـة ومعناهـا الخصـوص فيمـن حقّـت عليـه كلمـة العـذاب، وسـبق في علـم اللـه أنّـه يمـوت عـلى كفـره، أراد اللـه تعـالى أن يُعلـم النـاس أنّ فيهـم مـن هـذا حالـه دون أن يُعـيّن أحـداً. وقـال ابـن عبـاس والكلبـيّ: نزلـت في رؤسـاء اليهـود حيـيّ بـن أخطـب وكعـب ابـن الأشرف ونظرائهـما. وقـال الربيـع ابـن أنـس: نزلـت فيمـن قُتـل يـوم بـدر مـن قـادة الأحـزاب. والأوّل أصـحّ. «(القرطبـي، ١٩٦٤م: ١٨٤/١) واختـاره ابـن جريـر .(الطـبري،٢٠٠١م: ٢٥٢/١)

والأصـل التوليـدي لقولـه تعـالى: سمحۡ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ سجى: (إنـذارك لهـم وعـدم إنـذارك سـواءٌ عليهـم) (الـرازي،١٤٢٠هـ : ٢٨٤/٢)وهـي جملـة توليديـة اسـميّة مكوّنـة مـن (مبتـدأ + خـبر) طـرأ عليهـا تحويـل بالترتيـب فقُـدّم الخـبر (سـواء) عـلى المبتـدأ بعـد تحويلـه مـن الاسـمية إلى الفعليّـة وذلـك لإفـادة التجـدّد والحـدوث، أي: مهـما تكـرّر إنـذارك لهـم فذلـك سـواء عليهـم .

أشـار أبـو السـعود إلى علّـة تقديـم الخـبر قائـلاً: «و سـواء عليهـم خـبرٌ قُـدّم اعتنـاءً بشـأنه، .. لأنّ مقتـضى المقـام بيـان كـون

الإنذار وعدمه سواءً، لا بيان كون المستوي الإنذار وعدمه. (أبو السعود، د.ت: ٦/١)

ذهب البيضاوي أيضاً إلى أنّ «(سواء) خبر لما بعده بمعنى: إنذارك وعدمه سيان عليهم، والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له، أما لو أطلق وأريد به اللفظ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة، والإسناد إليه... وإنّما عدل هاهنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد، وحسن دخول الهمزة و(أم) عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء، كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة» (البيضاوي، ١٤١٨هـ: ٤١/١).

وعدّي سواءً بـ (على) ولم يُعلّق بـ (عند) ونحوها مع أنّه المقصود من الاستعلاء في مثله للإشارة إلى تمكّن الاستواء عند المتكلّم وأنّه لا مصرف له عنه ولا تردّد له فيه فالمعنى: سواءٌ عندهم الإنذار وعدمه .» (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ٢٤٩/١)

وأتى بضمير الغائب في قوله (عليهم) ولم يأت بضمير المخاطب (عليك) لأنّ الإنذار وعدمه ليسا سواء لديه، وفي هذا التقديم تسلية للرسول الداعية ﷺ، فما عليه إلاّ البلاغ سمحفَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠سجى [آل عمران: ٢٠] وفيه درسٌ له في طريق الدعوة الطويل، فيصبر على معاناة من لا قبول له، فحرصه على هداهم ليس ناجعاً فيهم، فقد خُتم على قلوبهم سمحوَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَسجى [يوسف: ١٠٣] .

وأمّا سبب نزول الآية فيرى ابن عباس والكلبي أنّ الآية نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم ومنهم حُييّ بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما (الواحدي، ١٩٩٢م: ٤٩) و«قال الربيع بن أنس: نزلت فيمن قُتل يوم بدر من قادة الأحزاب.» (القرطبي، ١٩٦٤م: ١٨٤/١)

المبحث الثاني
التحويل بالترتيب في مكمّلات التركيب الإسنادي

أولاً: التحويل بتقديم المفعول به

رتبة المفعول به أن يتأخر عن الفعل والفاعل، ولكن قد يحدث تحويل في ترتيبه فيتقدّم على فعله، وذلك لأغراض متعدّدة، ومن أمثلة تقديمه:

١- قوله تعالى: سمحوَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَسجى [الزمر: ٦٥-٦٦]

هذه الآية الكريمة فيه تحذير من الشرك وبيان للغرض من خلق الإنسان، الباري جلّ وعلا يبدأ بالأنبياء والرسل، وهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لا يتطرّق إلى قلوبهم طائف الشرك أبداً، فهم الدّعاة إلى التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة، ولكنّ التحذير هنا لتنبيه سواهم من أقوامهم إلى تفرّد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحّد البشرية في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون .

والبنية التوليدية لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ (ياأيّها النبيّ أُعبد اللهَ) مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به) والفاعل ضميرٌ مستتر وجوباً، طرأ عليها تحويل بإعادة الترتيب فتقدّم المفعول به على الفعل لإفادة الاهتمام والاختصاص، فإنّ نصب «لفظ (اللَّهَ - جلَّ وعزَّ - بقوله (فَاعْبُدْ)، هو إجماع في قول البصريين والكوفيين، والفاء

جاءت على معنى المجازاة، كأنَّه قال: قد تَبينْتَ فَاعْبُدِ اللَّهَ» (الزجاج، ١٩٨٨م: ٤٦١/٤)

وقد ورد في القرآن الكريم في حوالي عشرين مرّة قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ و ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ من غير تقديم للمفعول به، لأنّها جميعاً في معرض دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم إلى عبادة الله وحده، لكنّ هذه الآية الكريمة ورد لفظ الجلالة فيها مقدّماً على الفعل ولعلّ السبب وراء ذلك سياق الحال، كما ذهب إلى ذلك الزمخشريّ في الكشّاف قائلاً:»(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ) ردٌّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم، كأنه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت عاقلا فاعبد الله، فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه» (الزمخشري ١٤٠٧هـ: ١٢٤/٤) .

وقد أشار ابن عاشور إلى أنّ «مِمّا يُؤَيّد ما ذهب إليه صاحب «الْكَشَّافِ» المبَنِيّ على كلام سيبويه مِن اعتبار الفاء مُشعرةً بشرط مُقدَّر، أَنّ غالبَ مواقع هذه الفاء الْمُتقدِّمِ معها المفعول على مدخلها أن تقعَ بعد نهي أو أمرٍ يُناقض الأمرَ والنَّهيَ الَّذي دخلت عَليهِ تِلك الفاءُ كما ورد في الآية الكريمة وفي قَوْلِ الْأَعْشَى: (وَلا تَعبُدِ الشَّيطانَ واللَّهَ فَاعبدَا) فكانَ ما يتقدَّمُ هذهِ الفاء يَتولَّدُ مِنهُ شَرطٌ في المعنَى وكانت الْفاءُ مُؤذنةً بِذلكَ الشَّرطِ وعلامةً عليهِ فَلِأجلِ كَونهِ مَدلولًا عليهِ بدَليلَينِ أَصلهِ وفرعهِ كانَ كالمَذكورِ كأَنَّهُ قيلَ (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)، وَ (إِنْ كُنْتَ عَابِدًا شَيْئًا فَاللَّهَ فَاعْبُدْ)، وكذا في البيتِ وهذهِ فَائدَةٌ لَم يُفصحْ عَنها السَّلَفُ فَخُذها ولا تَخَفْ»(ابن عاشور،١٩٨٤: ٤٥٦/١)

٢- ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١-٧]

في هذه الآيات الكريمة من صدر سورة المدثّر نجد محوري الدعوة والداعية، الدعوة إلى التوحيد، وبيان صفات الداعية الشكليّة والخلقية والنفسيّة التي تهيّؤه لحمل أعباء الدعوة، ففيها نداء علوي جليل، لأمر عظيم ثقيل.... لإنذار البشرية وإيقاظها، وتخليصها من الشرّ، ويُريد سبحانه لهذه المهمّة الكبيرة أن يتحلّى النبيّ الداعية بصفات عالية تؤهّله تأهيلاً فريداً لحمل هذه الأمانة لإيصال رسالة السماء، توحيد الله وتعظيمه، جمال الشكل والهيئة، ترك مظاهر الشرك وطهارة القلب، والصبر على أعباء الدعوة ابتغاء مرضاة الله وحده.

ففي الآيات الكريمة [وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥] قُدّم المفعول به فيها وجوباً على فعله، فالفاء الداخلة على الأفعال الثلاث فاء الجزاء الداخلةعلى معنى جواب الجزاء (الزجاج، ١٩٨٨: ٢٤٥/٥)، إلاّ أنّ الدكتور فاضل السامرائي لايوافق على ما يذكره النحاة من أن الفاء دخلت هنا لمعنى الشرط، كأنه قيل: ومهما كان فلا تدع تكبيره، ويصرّح قائلاً: « والحق أنا لا نشمّ رائحة للشرط هنا، بل هو زيادة في التأكيد والتخصيص، فقدم المفعول للتخصيص، وجاء بالفاء زيادة في التوكيد، أي خصّ ربك بالتكبير فهذا من باب التوجيه والتعليم، وليس ردا على فعل أو اعتقاد بخلاف القصر بالاستثناء الذي فيه رد على إنكار» (السامرائي، ٢٠٠٠، ١١٠/٤ ، ٢٥٢/٢). وقد أكّد ابن عاشور أنّ تقديم المفعول (ربّك) على عامله لإفادة الاختصاص، أي لا تُكبّر غيره، وذكر أنّه قصر إفرادٍ، أي دون عبادة الأصنام . (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٢٩٥/٢٩)

وخلاصة القول في تقديم المفاعيل إنّ التكبير والتعظيم يخصّان الله جلّ وعلا، ومن لوازمهما الاستعداد له ابتداءً بتطهير المظاهر وانتهاءً بهجر الرّجز من المعاصي والأوثان .

والأصل التوليدي للآيات الكريمة: (كبّر ربّ محمد) و (طهّر ثوب محمد) و (اهجر الرّجز) وهي مكوّنة من (فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به) ، طرأ عليها تحويل بإعادة الترتيب فصارت (ربَّ محمد فكبّر) و(ثيابَ محمد فطهّر) و (الرجز اهجر) ثمّ حلّ الضمير المتصل (كاف الخطاب) محلّ الاسم الظاهر(محمد) فأصبحت (وربّك فكبّر)

و (ثيابّك فطهّر) وفي ذلك دلالة واضحة على العناية الإلهية والرّعاية الربّانية لهذا النبيّ الدّاعية ﷺ « فما لم يكن الداعية نقي الظاهر والباطن، دقيق الأخذ والعطاء، ولم يكن سلوكه فوق النقد في كلّ الأمور، فإنّ إنذاره لا يكون مجدياً كلّ الجدوى» (سعيد حوى، ١٤٢٤، ١١/ ٢٣٠) .

وقوله تعالى: (وثيابك فطهِّر) أي: «نَزّه ثياب إيمانك وعرفانك عن لوث الطمع في الخلق، وخصوصاً عند الدعوة، فلا تسأل عليه أجراً، ولا تؤمّل في جانبه عوضاً، فتُحرم بركة إنذارك، ويقلّ الانتفاع به» (ابن عجيبة،١٤١٩هـ ١٧٤/٧) وقد بيّن سيد قطب اهتمام الباري بالرسول العظيم وتهيئته لحمل أعباء هذه الدعوة شارحاً الغرض الكامن وراء تقديم المفاعيل في البنية السطحية للآيات الكريمة: بأنّ كلّ خطب وأمر في الكون صغير أمام عظمة الباري سبحانه فهو وحده هو الكبير... وفيه توجيه وتربية للرسول الداعية فيتكوّن عنده تصّور يكون به مؤهّلاً لمواجهة جميع المتاعب والصعوبات التي تواجهه في نذارته للبشريّة، فيستصغر كلّ قيد، وكلّ قوّة، وكلّ عقبة، وهو يستشعر أنّ ربّه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة، هو الكبير .. ومشاقّ الدعوة وأهوالها في حاجة دائمةٍ الى استحضار هذا التصوّر وهذا الشعور ... وهي لفتة دقيقة عميقة إلى ملابسات الرسالة والدعوة... (سيد قطب، ٢٠٠٥، ٣٧٥٤)

فالداعية ابتداءً من النبيّ ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم القيامة عليهم التحلّي بتلك الصفات التي أكّدها الباري سبحانه ـ ربّ هذه الدعوة ـ بهذه التراكيب القرآنية الرفيعة التي تشتمل على تأكيد وحثّ على تمثّلها خير تمثيل. فمهمّة الداعية وخطر الدعوة استوجبت تلك التراكيب الدالّة على أهميّة تفرّد الداعية بالمواصفات الخاصّة الواردة في صدر سورة المدثّر .

٣- ومنه قوله تعالى: سمحوَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ١ سجى [الضحى: ١-١١]

هذه السورة المباركة والآيات الكريمة نزلت بعد أن انقطع الوحي عن النبيّ الداعية ﷺ مدة طويلة، فقد أبطأ جبريل عليه بالوحي، فانتهز أعداء دعوته ذلك وبدأوا بتلفيق التهم حتى أنّ امرأة من قريش قال له: « ما أرى شيطانك إلاّ قد ودّعك» (الواحدي، ١٩٩٢: ٤٥٧)، فنزلت هذه السورة لتبيّن كمال عناية الله سبحانه بالرسول الكريم ﷺ، وذلك بأنّه متى ما وقع الرسول في حالة نفسيّة من الحزن والقلق بسبب الحملات الإعلامية الشرسة لأعداء الدعوة الإلهية ضدّه واساه الله وتداركه بلمسة من حنان . ونسمة من رحمة. ويدٍ حانية تمسح على الآلام والمواجع. وتنسم بالرّوح والرّضا والأمل، وتسكب البرد والطمأنينة واليقين.

وفيها الدليل على تحقّق وعد اللّه لنبيه، وهو وعدٌ جارٍ على سُنن ما سبق من عناية الله بك من مبدأ نشأته ولطفه له في الشدائد باطّراد (ابن عاشور، ١٩٨٤م،٣٠/ ٣٩٩)،كما أنّ فيها بيان للصفات الكريمة التي ينبغي أن تكون في الداعية كي يكون مؤّهلاً لحمل أعباء الدعوة، وبيان رسالة الإسلام للبشرية بأكمل وجه.

فالبنية العميقة للآيتين الكريمتين سمح فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ سجى: (يقهر النبيّ اليتيمَ، وينهر النبيّ السائلَ) كلّ منهما جملة توليدية فعليّة مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به)، وقد طرأ عليها تحويلُ بزيادة حرف النفي فأصبحت الجملتان (لا يقهر النبيّ اليتيمَ ، ولا ينهر النبيّ السائلَ) وبعد إجراء تحويل آخر عليهما تحوّل كلّ من الجملتين إلى جملة إنشائية طلبية (النهي) بعد أن كانت جملة خبرية، وتبعاً لذلك تغيّر صيغة الفعل المضارع من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب بعد تغيّر دلالة الحرف (لا) من النفي إلى النهي وأصبح الفاعل

فيهما ضميراً مستترا فأصبحت الجملتان (لاتقهر اليتيم، ولا تنهر السائلَ)، ثمّ زيدت أمّا الشرطية التفصيلية إلى صدر كلّ منهما لمزيد من الاهتمام والتوكيد، « و(أمّا) حرف بسيط فيه معنى الشرط مؤوّل بـ (مهما يكن من شيءٍ) لأنّه قائمٌ مقام أداة الشرط وفعل الشرط، ولذلك يُجاب عنه بالفاء» . (المرادي، ١٩٩٢م، ٥٢٢)، ودخول أمّا الشرطية أوجب تقديم المفعول به فيهما، فكان مفادها مشعراً بشرط آخر مقدّر هو الذي الذي اجتلبت لأجله الفاء الفصيحة، وتقدير نظم الكلام: إذا كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربّك، وبيّن له الشكر بقوله: **سمح فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ سجى** (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٤٠٢/٣٠)

والأصل التوليدي لقوله تعالى **سمح وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡسجى** [الضحى: ١١] هي: (يُحدّث النبيّ بنعمة ربّه) وهي جملة توليدية فعلية مكوّنة من (فعل + فاعل + جار ومجرور) وقد طرأ على الجملة تحويل بالترتيب فقُدّم الجارّ والمجرور على الفعل والفاعل بعد تحويل الجملة من الجملة الخبرية إلى الجملة الإنشائية الطلبية وذلك باستبدال فعل الأمر للمخاطب بالفعل المضارع بعد أمّا الشرطية .

وقد فسّر عبدالكريم الخطيب المقصود بتقديم (اليتيم والسائل) بعد أن أكرمه الله حين كان يتيما، وهدايته حين كان ضالّا بقوله: «هو تعقيب على هذا الإحسان الذي أفاضه الله وما سيُفيضه على نبيّه ﷺ، وأنّ من حقّ هذا الإحسان أن يُقابل بالحمد والشكران لله ربّ العالمين .. وقد صرف الله سبحانه وتعالى هذا الحمد وذلك الشكران إلى الضعفاء والمحتاجين من عباده، فيكون حمده وشكره بالإحسان إليهم والرعاية لهم .. فلا نهرَ لليتيم ولا كسرَ لخاطره، ولا تركَ لمرارة اليتيم تنعقد في فمه .. وإنّ أولى الناس برعاية اليتيم، وجبر خاطره من عرف اليتم ثمّ كفّله الله». (الخطيب، ١٩٧٠: ١٦٠٢/١٦)

فـ(اليتيم) مفعول به لفعل (فلا تقهر) وقُدّم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يأت به مرفوعاً، وكذا (السائلَ) مفعول به لفعل (فلا تنهر)، وقد ذكر ابن عاشور أنّ النعم الثلاث المتفرّع عليها هذا التفصيل قد قوبلت بثلاثة أعمال تقابلها، فيجوز أن يكون التفصيل على طريقة اللفّ والنشر المرتّب، فقوله **سمح فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ سجى مقابل لقوله سمح أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ سجى** لا محالةَ، أي: فكما آواك ربّك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتم، فكن أنت مكرما للأيتام رفيقاً بهم فجُمع ذلك في النهي عن قهره، وقوله: **سمح وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ سجى مقابل قوله: سمح وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ سجى وقوله سمح وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ سجى مقابل قوله سمح وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ سجى** ويجوز أن يكون على طريقة اللفّ والنشر المشوّش إذا فسّر السائل بسائل المعروف . (ابن عاشور ١٩٨٤، ٣٠/ ٤٠٢-٤٠٥) .

فبعد أن عدّد المنعم المتفضّل سبحانه بعض آلائه من إيوائه بعد يُتمه، وهدايته بعد الضلالة، وإغنائه بعد الفقر ... أمره سبحانه أن يُقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر، فنهاه أن يقهر اليتيم، وأن ينهر السائل، وأن يكتم النعمة بل يُحدّث بها .» (ابن قيم الجوزية،٢٠١٩: ١١٣/١)

ثانياً: التحويل بتقديم شبه الجملة (الجارّ والمجرور)

١- منه قوله تعالى: **سمحالٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢سجى** [هود: ١-٢]

كلّف الله الأنبياء الدعاة أن يكونوا مبشّرين ومنذرين، يُبشّرون المتمسّكين بدينه وتوحيده، المذعنين لأوامره بما ينتظرهم من رحمة وغفران، ومن فضل وتكريم . ويُنذرون الغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب ونكال. (سيد قطب:٢٠٠٥ ص ٢٨٧٢/٥)، وقد نقل الشنقيطي عن شيخه على هذه الآية :»فيها الدلالة الواضحة على أنّ الحكمة العظمى التي أُنزل القرآن من أجلها هي: أنْ يُعبد اللّه تعالى وحده ولا يُشرك به في عبادته شيءٌ» (١٩٩٥، ص: ١٧١/٩) والأصل التوليديّ لقوله تعالى : سمحإِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ سجى هو (أنا نذيرٌ وبشير من اللّه لكم) مكوّنة من (مبتدأ + خبر + جار ومجرور) طرأ على الجملة تحويل بالترتيب بتقديم شبه الجملة الثانية ثمّ الأولى على الخبر، فصارت الجملة: (أنا لكم من اللّه نذيرٌ وبشيرٌ) لتدلّ بذلك على اشعارهم بهول الإنذار إذا لم يمتثلوا لمتطلّبات الدعوة إذ ليس الإنذار من الرسول ﷺ لهم من تلقاء نفسه بل هو من اللّه الذي أرسل إليهم الرسول . ثمّ حلّ الضمير المتصل (الهاء) محلّ لفظ الجلالة، وزيدت حرف المشبّه بالفعل (إنّ) الدالّ على التوكيد في بداية الجملة الاسمية، وصار ضمير المتكلّم متصلاً .فصارت الجملة: (إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) و»ضمير الغائب المجرور في (منه) عائد لله تعالى و (من) لابتداء الغاية، والجار والمجرور في الأصل صفة النكرة فلما قدّم عليها صار حالا كما هو المعروف في أمثاله أي: إنّي لكم من جهته تعالى نذير أنذركم عذابه إن لم تتركوا ما أنتم عليه من عبادة غيره سبحانه، وبشير أبشّركم ثوابه إن آمنتم وتمحّضتم في عبادته عز وجل، وجوّز كون (من) صلة النذير والضمير إمّا له تعالى أيضا، والمعنى حينئذ على ما قال أبو البقاء: نذير من أجل عذابه وإمّا للكتاب على معنى إنّي لكم نذير من مخالفته وبشير لمن آمن به» .(الآلوسي، ص ١٩٣/٦-١٩٤) ويرى ابن عاشور» أنّ جملة (إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) معترضة بين جملة (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) ، وهو اعتراض للتحذير من مخالفة النهي والتحريض على امتثاله .(١٩٨٤: ٣١٦/١١)

ثمّ إنّ جوّ السورة العامّ تشيع فيه عقوبات الأمم البائدة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ومدين وغيرهم، وهذا أيضاً ممّا يستدعي تقديم الإنذار، كما أنّه ذُكر في السورة عذاب الآخرة ـ وهو تخويف ـ يستدعي تقديم الإنذار . كما أنّ في تقديم شبه الجملة (لكم) إشارة إلى أنّ (النبي) ﷺ إنّما هو مرسَلٌ إليهم خاصة ليكون هادياً لهم .

إذن يُمكن أنّ نخلص إلى القول إنّ التحويل بالترتيب وتقديم بعض عناصر الجملة على بعض إنّما يكون استجابة لمتطلبات السياق القرآني وتناسقاً مع الجوّ العام للسورة .

٢- ومنه قوله تعالى: سمحوَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦سجى [الأنبياء: ٣٦]

يذكر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة كيفية استقبال الكافرين لدعوة الرسول ﷺ وموقفهم ممّا جاء به من الوحي - القرآن الكريم - ليُكمل ما أشار إليه في مطلع سورة الأنبياء من سنن الدعوات ومصائر البشر. وفيها وصفٌ لما يُؤذي به المشركون رسول الله ﷺ حين يرونه. فيُبيّن أنّ من العجب العُجاب أنّ هؤلاء الكافرين يكفرون بالرحمن، خالق الكون ومدبّره، وبما جاء به من الذكر الحكيم، ومع ذلك يستنكرون على النبيّ الداعية ﷺ أن يذكر الأصنام التي اتخذوها آلهة بالسوء ! وفي هذه مفارقة عجيبةٌ تكشف عن مدى الفساد الذي أصاب فطرتهم وتقديرهم للأمور ! (سيد قطب، ٢٠٠٥م: ٢٣٧٩/٤)

وعن سبب نزول الآية قال السُديّ ومقاتل: «مرّ النبيّ ﷺ بأبي جهلٍ وأبي سُفيانَ، فقال أبو جهلٍ: هذا نبيّ بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان وقال: أ تُنكرون أن يكون لبني عبد منافٍ نبيّ ؟ فسمعهما الرسول ﷺ فقال لأبي

جهلٍ: ما تنتهي حتّى ينزل بك ما نزل بعمّك الوليد بن المغيرة، وأمّا أنت يا أبا سُفيان فإنّما قُلتَ ما قُلتَ حميَّةً . فنزلت « (الأندلسي، ١٤٢٠هـ: ٤٢٩/٧)

والبنية العميقة لقوله تعالى: سمحوَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ سجى هي: (وهم كافرون بذكر الرحمن) وهي جملة توليدية اسميّة مكوّنة من (مبتدأ معرفة + خبر نكرة + قيد مخصص)، وقد طرأ على الجملة تحويل بالترتيب وذلك بتقديم شبه الجملة المكوّنة من الجارّ والمجرور على متعّلقه أي الخبر للتأكيد على فعلتهم الشنيعة التي صارت صفةً لازمةً فيهم .

فهم «يعيبون عليه (عليه الصلاة والسلام) أن يذكُرَ آلهتَهم التي لا تضُرّ ولا تنفع بالسوء والحالُ أنهم بذكر الرحمن المنعِم عليهم بما يليق به من التوحيد أوبإرشاد الخلق بإرسال الرُسل وإنزال الكُتب أو بالقرآن كافرون فهم أحقّاء بالعيب والإنكار فالضمير الأول مبتدأ خبره كافرون و(بذكر) متعلق بالخبر، والتقدير و(هم كافرون بذكر الرحمن)، والضمير الثاني تأكيدٌ لفظيٌّ للأوّل.»(أبو السعود، ١٩٨٤د.ت: ٦/ ٦٦)

ويُعلّل فخر الدين الرازي تكرار الضمير (هم) قائلاً: « والمغنى في إعادتهم أنّ الأولى إشارةٌ إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل، والثانية إبانةٌ لاختصاصهم به، وأيضاً فإنّ في إعادتها تأكيداً وتعظيماً لفعلهم .» (الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٤٤/٢٢)

والاستفهام في الآية مستعملٌ في التعجيب، واسم الإشارة مستعملٌ في التحقير بقرينة الاستهزاء، وكلامهم أتى في سياق الغيظ والغضب، لذلك أعقبه الله بجملة الحال وهي: سمحوَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ سجى، والأظهر أنّ المراد بذكر الرحمن في الآية القرآن، أي الذكر الوارد من الرحمن، وضمير الفصل (هم) في قوله (هم كافرون) يجوز أن يُفيد الحصر أي: هم كافرون بالقرآن دون غيرهم ممّن أسلم من أهل مكّة وغيرهم، ويجوز أن يكون الفصل لمجرّد التحقيق والتأكيد لدوام كفرهم مع ظهور ما يدفعهم لتركه . وعبّر التعبير القرآني عن الله تعالى باسم الرحمن تورُّكاً عليهم، إذ كانوا يأبون أن يكون الرحمن اسماً لله تعالى سمح وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا سجى [الفرقان: ٦٠] (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ١٧/ ٦٥-٦٧)

الخاتمة

يمكن تلخيص أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة بما يأتي:

• إنّ تحليل النصوص ولاسيّما النصوص القرآنية حسب المنهج التحويلي يُساهم إلى حدّ كبير في معرفة المعاني الدقيقة للتراكيب والنصوص .

• إنّ الرجوع إلى الأصل التوليدي للتراكيب والآيات خير معين لمعرفة ما كانت عليه تلك التراكيب وما آلت إليه في البنية السطحية، ومعرفة الأغراض والأسباب الكامنة وراء التحويل الذي جرى فيها .

• إنّ السياق يؤدي دوراً كبيرا، بل هو العامل المؤثر والفعال في استجلاء دلالة التراكيب .

• اعتمد النحاة القدامى والمفسّرون عند دراستهم لمبنى التراكيب اللغوية على شقي السياق اللغوي وغير اللغوي .

• الاختصاص والاهتمام والدلالة على التأكيد، وقصر الدعوة إلى الجنة والمغفرة على الله سبحانه وقصر الدعوة إلى النار على المشركين، والدلالة على صفة الثبوت لإصرار الرسول على تحقيق مهمته كداع لا يفتر عن الدعوة وإفادة الاهتمام وتعظيم شأن الرسول ﷺ من أهم العلل والأسباب التي تكمن وراء عملية التحويل بالترتيب بتقديم المسند إليه في التراكيب والآيات المدروسة .

• أمّا التحويل بالترتيب بتقدم المسند في التراكيب والآيات القرآنية فمن أبرز أغراضه: (قصر الاقتداء بداعية الاسلام، وإفادة التجدد والاعتناء بشأن الداعية وتسليته لتحمّله أعباء الدعوة، وإفادة الحصر والتخصيص والتبيين).

• أمّا التحويل بالترتيب الجاري بتقديم مكمّلات التراكيب والآيات القرآنية فقد جاء (استجابة لمتطلبات السياق القرآني والتناسق مع الجو العام للسور، توجيه وتربية الرسول الداعية، والاهتمام والتأكيد والاختصاص) .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، ١٤١٥هـ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الهر التونسي المتوفي ١٣٩٣ هـ ١٩٨٤م، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس .

٤- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ١٤١٩ه: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ) : التبيان في أيمان القرآن، ١٤٤٠هـ ت – ٢٠١٩م، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، مراجعة: محمد أجمل الإصلاحي - عبد الرحمن بن معاضة الشهري، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط/٤ .

٦- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، د.ت: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧- أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، د.ت: روح البيان، دار الفكر ـ بيروت.

٨- أبو معزة، الدكتور رابح، ٢٠٠٨م/أ : التحويل في النحو العربي مفهومه – أنواعه – صوره ، البنية العميقة للتراكيب المحولة، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن.

٩- أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، ١٤١٢ه – ١٩٩١م: معاني القراءات للأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود،المملكة العربية السعودية .

١٠- الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن ابن محمد بن أبي سعيد الإنباري النحوي، ٢٠٠٩م: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة.

١١- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ)،١٤٢٠ه: البحر المحيط في التفسير،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.

١٢- أنيس، الدكتور إبراهيم/ ب، ١٩٧٨م، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦.

١٣- بدوي، الدكتور أحمد أحمد، د.ت: من بلاغة القرآن، مكتبة النهضة ـ مصر، ط٣.

١٤- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، ١٤١٨ه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥- الترك، أريج حامد، ٢٠٠٤، عناصر التحويل التركيبي في المثل العربي في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة ماجستير،

جامعـة مؤتـة ـ الأردن، إشراف: يحيـى عبابنـة.

١٦- الجرجـاني، عبدالقاهـر بـن عبدالرحمـن، ١٤٣٨هــ ــ ٢٠١٧م: دلائـل الإعجـاز، قـرأه وعلّـق عليـه: أبـو فهر محمـود محمد شـاكر ، انتشـارات منـد ـ قـم.

١٧- الجوهـري، أبـو نـصر إسـماعيل بـن حـماد الفـارابي (ت ٣٩٣هــ)، ١٤٠٧ هــ - ١٩٨٧ م: الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة، تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار، دار العلـم للملايـين – بـيروت، ط ٤.

١٨- الحنفـي، إبراهيـم بـن محمـد بـن عربشـاه عصـام الديـن (ت. ٩٤٣هــ)، ١٤٢٢هــــ ٢٠٠١م: الأطول شرح تلخيـص مفتاح العلـوم، تحقيـق: د. عبدالحميـد الهنـداوي، دار الكتـب العلميـة ـــ بيروت.

١٩- الخطيب، عبدالكريم يونس، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي ــ القاهرة.

٢٠- الـرازي، أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عمـر بـن الحسـن بـن الحسـين التيمـي الـرازي الملقـب بفخـر الديـن الـرازي خطيـب الـري (ت ٦٠٦هــ)، ١٤٢٠ه: مفاتيـح الغيـب (التفسـير الكبـير)، دار إحيـاء الـتراث العـربي – بـيروت، ط٣.

٢١- الزجـاج، إبراهيـم بـن الـسري بـن سـهل، أبـو إسـحاق (ت ٣١١هــ)، ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هــ معـاني القـرآن وإعرابـه، تحقيـق: عبـد الجليـل عبـده شـلبي، عـالم الكتـب – بـيروت،ط١ .

٢٢- الزمخـشري، أبـو القاسـم محمـود بـن عمـرو بـن أحمـد، جـار اللـه (ت ٥٣٨هــ)، ١٤٠٧ه: الكشـاف عـن حقائـق غوامـض التنزيـل، (مـع الكتـاب حاشـية (الانتصـاف فيـما تضمنـه الكشـاف) لابـن المنـير الإسـكندري (ت ٦٨٣)، وتخريـج أحاديـث الكشـاف للإمـام الزيلعـى)، دار الكتـاب العـربي – بـيروت.

٢٣- السامرائي، الدكتور فاضل صالح،٢٠٠٠م – ١٤٢٠هـ: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن.

٢٤- السامرائي، د. فاضل صالح،١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧ م، على طريق التفسير البياني، دار ابن كثير.

٢٥- السـعدي، عبـد الرحمـن بـن نـاصر بـن عبـد اللـه السـعدي (ت ١٣٧٦هــ)، ،١٤٢٠هــ-٢٠٠٠ م: تيسـير الكريـم الرحمن في تفسـير كلام المنـان، تحقيـق: عبـد الرحمـن بـن معـلا اللويحـق، مؤسسـة -الرسـالة.

٢٦- سعيد حوى، الأساس في التفسير(١٤٠٩هـ)، ١٤٢٤هـ دار القلم، القاهرة.

٢٧- سـيبويه، أبـو البـشر عمـرو بـن عثـمان بـن قنـبر،١٩٨٨م – ١٤٠٨هــ: كتـاب سـيبويه، تحقيـق عبدالسـلام محمـد هـارون، ط٣، مكتبـة الخانجـي، القاهـرة .

٢٨- سيّد قطب، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ، ط ٣٥.

٢٩- الشـنقيطي، محمـد الأمـين بـن محمـد المختـار بـن عبـد القـادر الجكنـي (المتـوفى : ١٣٩٣هــ)، ١٤١٥ هــ - ١٩٩٥ مــ : أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بالقـرآن، دار الفكـر للطباعـة و النـشر و التوزيـع بـيروت – لبنـان.

٣٠- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، ١٤١٤هـ: فتح القدير، دار ابن كثير،

دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

٣١- الطرابلسي، ابن عبدالحق العمري، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م: دُرَر الفرائد المُستحسنة في شرح منظومة ابن الشِّحنةِ(في علوم المعاني والبيان والبديع)، تحقيق ودراسة: الدكتور سُلَيمان حُسَين العُمَيرات، دار ابن حزم، بيروت – لبنان.

٣٢- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٣٣- طنطاوي، محمد سيّد، ١٩٩٧م: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.

٣٤- العامري، حميد أحمد عيسى، ١٩٩٦م، التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد .

٣٥- عبدالعليم السعدي، أسعد، ٢٠٠٠م: علل التعبير القرآني عند الزمخشري، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة العربية .

٣٦- عبد المطلب، الدكتور محمد، ١٩٩٤م، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة .

٣٧- عمايرة، الدكتور خليل أحمد، ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – جدة.

٣٨- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧هـ)، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م: الحجة للقرّاء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط/٢.

٣٩- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري،١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ .

٤٠- اللبدي، الدكتور محمد سمير نجيب، د.ت: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الثقافة، الجزائر.

٤١- المرادي، أبو محمد بدرالدين حسن بن قاسم (ت ٧٤٩هـ)، ١٩٩٢م: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخرالدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢- نصيف، أحمد، ١٩٧٩م، السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، مجلة الآداب ـ المستنصرية، العدد: ٤.

٤٣- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، ١٩٩٢م – ١٤١٢ه: أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط/٢، دار الإصلاح – الدمام.